مكتبة الطفل العربي

٣

القُرصان والبهلوان

مجدي صابر

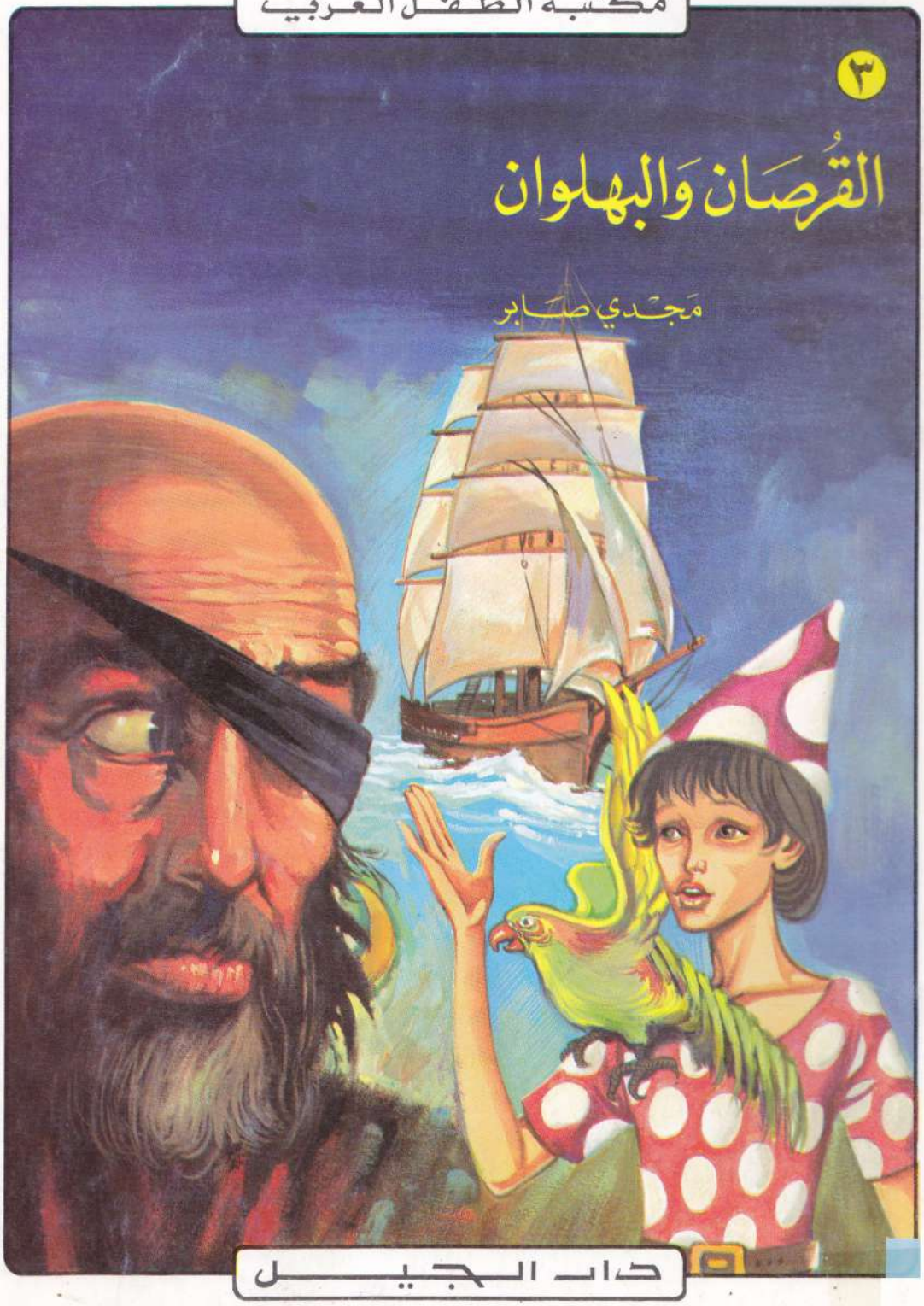

دار الجيل

قصة
ص ب

مَكتَبة الطّفل العَرَبي

٣

القُرصَان وَالبهلوان

تأليف

مَجدي صَابر

دار الجيل

بيروت - القاهرة - تونس

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَبِ
رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقى
www.lisanarb.com

تأليف : مَجدي صابر

هي مجموعة جديدة وشيقة من قصصِ الأطفالِ، كُتبتْ بأسلوبٍ أدبيٍّ ممتاز، يمتزجُ فيها الخيالُ مع الواقع.. والحلمُ مع الحقيقة، لتصنَعَ عالماً أخاذاً مُبهراً، يناسبُ عقلَ وسِنَّ قارئِها الصغيرِ، ويَفتح أمامَ عينيه أبواباً لا حصرَ لها من المعرِفةِ والقِيَمِ التربويةِ والأخلاقِ النبيلةِ.

ونحن نفخرُ بأن تؤدي هذه المجْمُوعةُ القَصَصِيّةُ المَكْتوبةُ والمُخْتارةُ بِعِنايَةٍ بالِغةٍ، الغَرضَ منها تماماً، وتُحاوِل أن تَسدَ بعض النّقصِ في مكتبةِ الطّفلِ العربيّ، دونَ أن تَسْتهينَ بِعقلهِ، أو تَتَخطى قِيَمه وعاداته.

ونَأملُ أن نَكونَ قد حَقَّقْنا الهَدَفَ الّذِي نَرْجُوه من إصْدارِنا لهذه المَكتبةِ، وأن تَحْتلَ قِصَصُها مكانها اللائق في مكتبةِ كلّ طفلٍ عربيّ.

القُرصَان وَالبهلوان

عاشَ سُكّانُ «قَرْيةِ الـطَّيِّبِينَ» زَمَناً طَـوِيلاً فِي دَعَـةٍ وسَلامٍ ورَغْدٍ ونَعيمٍ.

وكانَتْ «قَرْيةُ الطَّيِّبينَ» كَما يَدُلُّ آسْمُهـا، لا يَعيشُ فِيها إلاّ النَّـاسُ الطَّيِّبُـونَ المُسالِمُـون. وكـانَ مِنْهُم المُـزارِعُ والصَّيـادُ، والحـدَّادُ والحـطَّابُ والنَّجـارُ، ومِنْ كُـلِّ أصْحـابِ الـمِهَـنِ والأَعْمالِ.. ولَكِنَّهُمْ كانُوا كأُسْرَةٍ واحِدَةٍ.. يَتعاوَنُونَ فِي السَّراءِ والضرَّاءِ ويَعيشُون كأُخْوَةٍ مُتَحابِّين.

وَكانَتْ قَرْيةُ الطَّيِّبينَ قَرْيةً بَعِيدةً بَعِيدةً.. يَحُدُّها مِن ثَلاثِ جِهاتٍ صَحْراءُ قاحِلَةٌ واسِعَةٌ مُتَـرامِيةُ الأَطْـرافِ كأَنَّهـا تَصِلُ إلَى نِهـايَةِ العَـالَمِ.. ولَمْ يَحْدُثْ أَنْ خَـطا غَرِيبٌ إلَى القَـرْيةِ عـابِراً تِلْكَ الصَّحْراءَ الوَاسِعَـةَ الَّتِي لا يَعْرِفُ أَحَـدٌ أَيْنَ تَصِلُ أَطْـرافُها.

كـانَتِ الصَّحْـراءُ تَمْتَـدُّ مِنَ الخَلْفِ واليَمينِ واليَسـارِ، أمَّـا مِنَ الأَمامِ فَكانَ يَحُدُّ القَرْيـةَ بَحْرٌ وَاسِـعٌ هائِـلٌ مُتلاطِمُ الجَنَبـاتِ لا نِهـايَةَ لامْتِـدَادِه. . وَلَمْ يَحْدُثْ مِنْ قَبْـلُ أَنْ عَبَرَ أَحَـدٌ مِنْ سُكانِ القَـرْيةِ البَحْـرَ لِيَتَعَرَّفَ أَيْنَ يَسْتَقِـرُّ شاطِئُـهُ الآخَـرُ، ولا جـاءَ إِلَى القَرْيةِ غَرِيبٌ راكِباً سَفِينَةً أو زَوْرَقاً.

وذَاتَ يَـوْمٍ حَـدَثَ أَمْـرٌ عَجِيبٌ. . فَقَـدْ ظَهَـرَتْ فِي أُفُـقِ جِهَةِ البَحْرِ نُقْطَةٌ صَغِيرةٌ راحَتْ تَكْبُـرُ وتَكْبرُ بِسُـرْعَةٍ. . ووَضُحَتْ مَعالِمُها بَعْدَ قَلِيلٍ، فـإِذا هِيَ سَفِينَةٌ صَغِيـرَةٌ يَعْلُوها شِـرَاعٌ كَبِيرٌ، تَتَراقَصُ فَوْقَهُ بِفِعْلِ الرِّياحِ رايَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ رُسِمَتْ فَوْقَها جُمْجُمَةُ إِنْسانٍ وعَظْمَتانِ مُتَقاطِعَتان.

وَلَمْ يَكُنْ أَهْـلُ القَرْيـةِ المُسالِمُـونَ قَدْ شـاهَدُوا مِثْـلَ تِلْكَ الـرَّايَـةِ مِنْ قَبْـلُ، وَلَا عَـرِفُـوا أَيَّ خَـطَرٍ يَكْمُنُ خَلْفَهـا. وكـانُـوا يَجْهَلُونَ تَمـامَ الجَهْـلِ أَنَّ تِلْكَ الـرَّايـةَ المُخِيفَـةَ هِيَ رَايَـةُ القَـراصِنَةِ، الَّـذِينَ يَجُوبُـونَ البِحـارَ بِسُفُنِهِمْ السَّـرِيعَـةِ الخَفِيفَـةِ فَيُهاجِمُونَ السُّفُنَ الآمِنةَ بِمَدافِعِهم وسُيُوفِهِمْ، ويَسْتَوْلُـونَ عَلَى ما بِهَـا مِن بَضائِـعَ وَذَهَبٍ، ويَقْتُلُونَ رُكَّـابَها ثُمّ يُغْـرِقُونَ سُفُنَهُم إِلَى قاعِ البَحْرِ أَوْ يُشْعِلُونَ فِيها النِّيران.

لَمْ يَعْرِفْ سُكّانُ القَرْيةِ تِلْكَ الحَقيقةَ أَبداً، ولا شاهَدُوا قُرْصاناً مِنْ قَبْلُ أوْ سَمِعُوا عَنْهُ، ولِذَلِكَ عِنْدَما ألقَتْ سَفينَةُ القَراصِنَةِ مَراسِيَها فَوْقَ شاطِئِ القَرْيةِ، هَرَعَ سُكّانُها بِسَعادَةٍ يُرَحِّبُونَ بالضُّيُوفِ القَادِمينَ مِنَ البَحْرِ، ووَقَفُوا يَسْتَطْلِعُون السَّفِينةَ ورُكّابَها فِي فُضُولٍ.

أمّا القَراصِنَةُ، فَما أنْ أَلْقَتْ سَفِينَتُهم مَراسِيها عَلَى الشَّاطِئِ، حَتَّى ٱسْتَعَدُّوا بِسُيُوفِهِمْ ورِماحِهِمْ وبُلَطِهِمْ. فَقَدْ نَوَوْا كَشَأْنِهِمْ دَائِماً، أنْ يَقْتُلُوا ويَذْبحُوا لِيَسْتَوْلُوا عَلَى كُلِّ ما تَصِلُ إِلَيهِ أَيْدِيهِمْ، بِدُونِ أنْ تُراوِدَهُمْ أدْنَى شَفَقَةٍ بِمَنْ أَمامَهُمْ، سَواءٌ كانَ طِفْلاً رَضِيعاً أم ٱمْرأةً لا حِيلَةَ لَهَا أم شَيْخاً عاجِزاً طاعِناً فِي السِّنِّ.

وَكادَ القَراصِنَةُ يَنْدَفِعُونَ فِي وَحْشِيَّةٍ حامِلِينَ أَسْلِحَتَهُمْ، وهُمْ يُزَمْجِرُونَ بِصَوْتٍ مُخِيفٍ كَما تَفْعَلُ الوُحُوشُ المُفْتَرِسةُ، ولَكِنَّ إشارَةً مِنْ زَعيمِهِمْ أوْقَفَتْهُم فِي الحَال.

وَكانَ زَعِيمُ القَراصِنَةِ يُدْعَى القُرْصانُ «سَعْدان».. وَكانَ مَشْهُوراً بِالقَسْوَةِ اللامُتَناهِيَةِ والطَّابِعِ الدَمَوِيِّ، ولَمْ تَكُنْ تَأْخُذُهُ

شَفَقَةٌ بِإِنْسانٍ أَوْ حَيَوانٍ . . أَمَّا هَيْئَتُهُ فَكانَتْ عَجِيبَةً مُخِيفَةً فِي نَفْسِ الوَقْتِ . . إِذْ لَهُ عَيْنٌ واحِدَةٌ سَلِيمَةٌ هِيَ العَيْنُ اليُمْنَى وَكانَتْ واسِعَةً مُخِيفَةً لا يَقْدِرُ إِنْسانٌ أن يُحَدِّقَ فِيها طَوِيلاً . . أَمَّا عَيْنُهُ اليُسْرَى فَقَدْ فَقَدَها فِي إِحْدَى المَعارِكِ، فَوَضَعَ مَكانَها عِصابَةً رَبَطَها بِرَأْسِهِ الصَّلْعاءِ الضَّخمَةِ الَّتِي تُشْبِهُ حَجَراً كَبِيراً مُسْتَدِيراً . وكانَتْ مَلامِحُ القُرْصانِ قاسِيةً عَنِيفَةً، فَحاجِباهُ كَثِيفانِ مُمْتَدّانِ مِنَ الأَمامِ والجانِبَيْنِ . . وكانَ أَنْفُهُ غَلِيظاً ضَخْماً . . وفَمُهُ واسِعاً شَدِيدَ القَسْوَةِ . . ورُغْمَ قِصَرِهِ كان ضَخمَ الحَجْمِ، كَبِيرَ الجُثَّةِ كَأَنَّهُ غُورِيلَّلا . . يُغَطِّي الشَّعْرُ صَدْرَهُ وذِراعَيْهِ الضَّخْمَيْنِ . . وكانَ يَرْتَدِي سُتْرَةً بِلا أَكْمامٍ، وبَنْطلُوناً ضَيِّقاً وحِذاءً مِنْ جِلْدِ النَّمْرِ، ويُغَطِّي رَأْسَهُ بِقُبَّعةٍ كَما يَتَدلَّى مِن حِزامٍ فِي وَسَطِهِ سَيْفٌ طَوِيلٌ رَهِيبُ المَنْظَرِ، وعَدَدٌ مِنَ الخَناجِرِ والسَّكاكِين .

ولَمْ يَكُنْ بَقِيَّةُ القَراصِنَةِ أَقَلَّ بَشاعَةً أَوْ شُذُوذاً مِنْ زعيمِهِمْ، فَكانُوا خَلِيطاً مِنْ أَشْكالٍ مُتَنافِرَةٍ قاسِيةٍ : فَمِنْهُمْ مَنْ كانَتْ لَهُ عَيْنٌ واحِدَةٌ مَفْقُوءَةٌ ولا يَسْتُرُها شَيْءٌ . . ومِنْهُمْ مَنْ كانَتْ لَهُ ذِراعٌ واحِدَةٌ أو ساقٌ وَحِيدَةٌ . . ومِنْهُمْ مَنْ يَرْتَدي المَلابِسَ الفاخِرَةَ أَوْ

الأَسْمَالَ البالِيَةَ، ومِنْهُمْ مَن كانَ طَوِيلاً أوْ قَصِيراً . . سَمِيناً مُكْتَنِزاً أوْ نَحِيفاً يابِساً . . ومِنْهُمْ مَنْ كَانَ أَسْوَدَ الوَجْهِ أوْ أشْقَرَ لَوَّحَتْهُ الشَّمْسُ ومُلُوحَةُ البَحْرِ . . وكانَ عَدَدهُمْ يَرْبُو عَلَى العشْرِينَ قُرْصاناً .

تَساءَلَ أحَدُ مُساعِدِي القُرْصانِ «سَعْدان» وكانَ يُدْعَى «عَدْنان» وقالَ لِزَعيمِهِ : «ماذَا تَنْتَظِرُ أيُّها الزَّعيمُ القُرْصانُ . . دَعْنا نَقْتلُهُمْ ونَسْتَوْلِي عَلَى مالِهِمْ وحُلِيِّهِمْ، فَنَحْنُ نَجُوبُ البَحْرَ مُنْذُ وَقْتٍ وَلَمْ نَغنَمْ شَيْئاً» .

ولَكِنَّ عَيْنَ القُرْصانِ السَّلِيمةَ لَمَعَتْ بِبَرِيقٍ خَبِيثٍ ماكِرٍ وقالَ بِصَوْتٍ غَلِيظٍ خَشِنٍ : «إنَّ لَدَيّ فِكْرةً أفْضلَ، لَقَدْ تَعِبْنا مِنَ الإبْحارِ ومُهاجَمَةِ السُّفُنِ والمَراكِبِ سَنَواتٍ طَوِيلَةٍ، فَدَعُونا نَسْتَرِحْ فِي هَذِهِ القَرْيةِ قَدْراً مِنَ الزَّمن» .

تَبادَلَ القَراصِنَةُ النّظَراتِ وتَفاهَمُوا فِيما بَيْنَهُمْ، وأَعجَبَتْهُمْ خُطَّةُ الزَّعيمِ ، فَأَخْفَوْا سُيُوفَهُمْ وبُلَطَهُمْ ورِماحَهُمْ، وتَقَدَّمُوا مِنْ سُكّانِ القَرْيَةِ وَهُمْ يَبْتَسِمُونَ آبْتِسامَةً زائِفَةً . فَأَسْرَعَ الأَهالِي البُسَطاءُ يَمُدُّونَ نَحْوَهُمْ أَيْدِيَهُمْ مُرَحِّبِينَ، وسُرْعانَ ما كانَ سُكَّانُ

القَـرْيةِ الكُـرَماءُ قَـدْ أعَدُّوا الـطَّعـامَ والشِّـواءَ لِضُيُـوفِهِمْ، ومَـدُّوا الأَبْسِطَةَ والمَوائِـدَ العامِـرَةَ بِكُلِّ أَصْنـافِ الطَّعـامِ والشَّرابِ وهُمْ مُبْتَهِجُونَ بِالضُّيُوفِ الَّذِينَ حَلُّوا عَلَيْهِمْ مِنَ البَحْر.

أَكَـلَ القَراصِنَـةُ وشَبِعُوا حَتَّى أُتخِمُـوا مِنَ الطَّعـامِ، وكانَ اللَّيْلُ قَدْ حَـلَّ، فَأَفْـرَدَ أَحَدُ سُكَّـانِ القَرْيـةِ (وهُوَ الحَـدَّادُ) مَنْزِلَـهُ لِمَبيتِ القَـراصِنَةِ ضُيُـوفاً عِنْـدَهُ، وكانَ مَنْـزِلَهُ مِنْ أَحْسَنِ مَنـازِلِ القَرْيةِ وأَفْخَمِها مَنْظراً وتأْثِيثاً.

وباتَ القُرْصانُ «سَعْدان» ومُساعِدُهُ «عَدْنان» وهُمـا يَضَعانِ الخُـطَطَ لِلاسْتِيـلاءِ عَلَى القَرْيـةِ بِمَا فِيهـا ومَنْ فِيها. وقـرروا أَنْ يَقْضُـوا بَقِيَّةَ عُمْـرِهِمْ بِالـطَّعـامِ والشَّـرابِ، يُسَخِّـرُونَ الأَهـالِي لِخِـدْمَتِهِمْ والـوُقُـوفِ عَلَى راحَتِهِمْ، أَمَّـا مَنْ يَعْتَـرِضُ أَوْ يُقـاوِمُ فَيَكُونُ مَصِيرُهُ المَوْتَ لِيُصْبحَ عِبْرَةً لِبَقيّةِ سُكَّانِ القَرْية.

وفِي الصَّباحِ عِنْدَما اسْتَيْقَظَ أَهْلُ القَـرْيَةِ، وتَهَيَّـأَ كُلٌّ مِنْهُمْ للذَّهَـابِ إِلَى عَملِهِ، غَيْـرُ دَارِينَ بِمـا يُحـاكُ خَلْفَ ظُهُـورِهِمْ، إِسْتَوْقَفَهم القُرْصانُ «سَعْدان» فِي مُنْتَصَفِ القَـرْيَةِ وحَـوْلَهُ رِجـالُهُ ذَوُو الهَيْئاتِ المُخِيفَةِ، وقَدْ حَمَلَ كُـلٌّ مِنْهُمْ سِلاَحَـهُ الرَّهِيبَ مِنْ

بُلَطٍ وخَناجِرَ وسُيُوف. وهَتَفَ القُرْصانُ «سَعْدان» فِي سُكَّانِ القَرْيَةِ مُنادِياً، فَأَقْبَلُوا مُتَجَمِّعينَ حَوْلَهُ، وَقَدْ ساوَرَهُمُ القَلَقُ والخَوْفُ لِأَوّلِ مَرَّةٍ، وهُمْ يُشاهِدُون الأَسْلِحَةَ المُخيفَةَ الرَّهِيبةَ فِي أَيْدِي القَراصِنَةِ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ بِهِ مِنْ قَبْل.

صاحَ القُرْصانُ «سَعْدان» بِصَوْتِهِ الغَليظِ الرَّهيبِ: «أَيُّها السُّكّانُ.. إِنَّني أُعْلِنُ مُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَنَّني وَرِجالِي قَد اسْتَوْلَيْنا عَلَى هَذِهِ القَرْيَةِ، فَصارَ كُلُّ ما فِيها مِنْ مالٍ وذهبٍ ومَنْقولاتٍ ومَزْرُوعاتٍ وحَيَواناتٍ ملْكاً خاصًّا لَنا لا يُشارِكُنا فِيهِ أَحَدٌ مِنْكُمْ.. أَمّا أَنْتُمْ فَقَدْ صِرْتُمْ مُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ خَدَماً وعَبِيداً لَنا، تَقُومُونَ بِكُلِّ الأَعْمالِ، ونَحْصلُ نَحْنُ عَلَى نِتاجِها، أَمّا مَنْ يَشْكُو أَوْ يَتَذمَّرُ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَنا إِلّا هَذَا».

ورَفَعَ سَيْفَهُ المُخيفَ إِلَى أَعْلَى حَتَّى يَراهُ الجَميع.

شَهَقَ سُكَّانُ القَرْيةِ الطَّيِّبينَ فِي ذُعْرٍ، وتَراجَعُوا إِلَى الوَراءِ فِي رُعْبٍ، إِذْ لَمْ يَتَصَورُوا أَنْ يَنْقلِبَ جَميلُهُمْ ومَعْروفُهُمْ لِيُقَابَلَ بِذَلِكَ الجُحُودِ والنُّكْرانِ.. وأَن يَسْتَوْلِيَ مُغْتَصِبٌ عَلَى أَرْضِهِمْ وبُيوتِهِمْ وأَمْلاكِهِم.

وٱعْتَرَضَ أحَدُ الشُّبانِ، فَقامَ القُرْصانُ بِجَلْدِهِ، حَتَّى سَقَطَ فاقِدَ الوَعْي، دُونَ أنْ يَجْرُؤَ أَحَدٌ عَلَى مُساعَدَتِهِ.

إرْتَعَدَ سُكّانُ القَرْيَةِ وأَخَذَهُمْ الرُّعْبُ الشَّدِيدُ، حَتَّى أنّ أحَدَهُمْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى النُّطقِ، وٱنْصَرَفُوا مُسْتَسْلِمينَ لِمَصيرِهم الجَديدِ مِن الذُّلِّ والهَوانِ، بِسَبَبِ الكارِثَةِ الَّتِي حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِدُونِ ٱنْتظارٍ.

* * *

وتَغَيَّرتِ الأَحْوالُ عَمّا كانَتْ عَلَيْهِ فِي القَرْيَةِ الهادِئَةِ الطَّيِّبةِ، فَقَدْ بَاتَ أَهْلُها يَعْمَلُونَ صَباحَ مَساءَ بِلاَ راحَةٍ، تَسُوقُهُمْ سِياطُ القَراصِنَة. وفِي النِّهايَةِ يَسْتَوْلي الغَاصِبُونَ عَلَى نِتاجِ أَرْضِهِمْ وأَعْمالِهِمْ، ولا يُلقُونَ إِلَيْهِمْ إلاّ بِأَقَلِّ القَلِيلِ مِنَ الطَّعام . .

وهَزُلَ سُكَّانُ القَرْيَةِ الطَّيِّبِينَ لِقِلَّةِ الطَّعامِ، وشَحُبَتْ وُجُوهُهُمْ ومَرِضَ أَطْفالُهُمْ، وهَلِكَ شُيُوخُهُمْ لِقِلَّةِ الرِّعايَةِ والعِنايَةِ والطَّعامِ وقَسْوَةِ العَمَل . وتَهَرَّأَتْ مَلابِسُهُمْ وَبَلِيَتْ، بِدُونِ أنْ يَسْمَحَ لَهُم القَراصِنَةُ بِملابِسَ جَديدَةٍ مِمَّا يَنْسِجُها نَسَّاجُو القَرْيةِ، الَّتِي كانَ القَراصِنَةُ يَسْتَوْلُونَ عَلَيْها كُلِّها لأَنْفُسِهِمْ.

وآسْتَوْلَى القَراصِنَةُ أَيْضاً عَلَى مَنازِلِ سُكّانِ القَرْيةِ، وأَلْقَوْا بأَهْلِهَا فِي العَراءِ، فَباتُوا تَحْتَ المَطَرِ والبَرْدِ فِي الشِّتاءِ القارِس .

ولَمْ يُحاوِلْ أحدٌ مِنْ سُكّانِ القَرْيَةِ المُقاوَمَةَ بَعْدَ أنْ جَلَدَ القَراصِنَةُ الشّابَّ الَّذِي طَالَبَهُمْ بِآلرَّحِيلِ ، ولَمْ يَكُنْ لَدَى السُّكّانِ المُسالِمينَ مِنَ الأَسْلِحَةِ ما يُقاوِمُونَ بِهِ غاصِبيهِمْ، فآسْتَسْلَمُوا لِقَدَرِهِمْ وَهُمْ يَدْعُونَ اللّه أنْ يُنْقِذَهُم مِنْ ذَلِكَ البَلاءِ المُسْتَطيرِ، وأنْ يُخَلِّصَهُمْ مِنَ الظُّلْمِ والجَبَرُوت.

أمّا القَراصِنَةُ فَأَعْجَبَتْهُمْ الحَياةُ فِي القَرْيَةِ الوادِعَةِ، فَطَغَوا وقَسَوْا عَلَى سُكّانِها، وتَمَتَّعُوا بِخَيْراتِها وطَعامِها وشَرابِها، حَتَّى أَصابَهُمُ الشَّرَهُ بِآلْبَدانَةِ والتَرَهُّلِ ، وصارَ زَعيمُ القَراصِنَةِ القُرْصانُ «سَعْدان» كالْفِيلِ لِضَخامَةِ حَجْمِهِ وكَثْرَةِ شَحْمِهِ ولَحْمِهِ.

* * *

وذاتَ يَوْمٍ كانَ أَحَدُ شُيُوخِ القَرْيَةِ يَجْلِسُ إِلَى شاطِئِها مُتَأَلِّماً حَزيناً، يُفَكِّرُ فِيما آلَ إِلَيْهِ حالُهُمْ مِنْ مَهانَةٍ وبُؤْسٍ ، حَتَّى أَصْبَحُوا عَبيداً فِي أَرْضِهِمْ وديارِهِمْ . . وآمْتلأَتْ عَيْناه بِآلدُّمُوعِ وهُوَ لا يَدْرِي ما يَفْعَل.

وفَجْأَةً لَمَحَ شَيْئاً يَدفَعهُ المَوْجُ وتَسُوقُهُ الرِّياحُ نَحْوَ الشَّاطِئ، وهَبَّ الشَّيْخُ مُنْدَهِشاً وهُوَ يُحَدِّقُ فِي كُنهِ ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي تَدْفَعهُ الأَمْواجُ قَرِيباً مِنْهُ.

وٱسْتَقَرَّ فَوْقَ الشَّاطِئ عَلَى مَسافَةٍ قَلِيلَةٍ لَوحٌ خَشَبِيٌّ عَرِيضٌ، كانَ يَحْمِلُ فَوْقَهُ خَليطاً عَجيباً من المَخْلُوقات.. عَلَيْهِ فَتًى نَحيلٌ تَشُعُّ عَيْناهُ بِٱلذَّكاءِ ولا يَسْتُرُهُ إلَّا القَلِيلُ مِنَ المَلابِسِ المُمَزَّقَةِ، وكَلْبٌ صَغيرٌ قَدْ ٱرْتَدى قَميصاً حَوْلَ بَطْنِهِ، وقِرْدٌ كَبيرٌ غَطَّى رَأْسَهُ بِقبَّعةٍ، ودُبَّةٌ ضَخْمةٌ وببغاءُ زاهِيَةُ اللَّوْنِ قَدْ رُبِطَ حَوْلَ رَقَبَتِها شَريطٌ عَلَى شَكْلِ فيُونْكة حَمراء.

قَفَزَ الفَتَى النَّحِيلُ مِنْ فَوْقِ اللَّوْحِ الخَشَبِيّ وهَتَفَ بِسَعادَةٍ فِي رِفاقِهِ مِنَ الطُّيُورِ والحَيَواناتِ: «ها قَدْ وَصَلْنا إلَى الشَّاطِئ أَخِيراً يا رِفاقُ فَحَمْداً لِلَّهِ».

وعِنْدَما شاهَدَ الفَتَى الشَّيْخَ تَقَدَّمَ مِنْهُ بِسُرُورٍ قائِلاً: «مَرْحباً بِكَ أَيُّها الشَّيْخُ.. لَقَدْ كُنّا نَعْبُرُ البَحْرَ فِي سَفِينَةٍ عِنْدَما غَرِقَتْ بِكُلِّ رُكَّابِها، ولَمْ يَنْجُ سِوايَ ورِفاقي الأَرْبَعةِ بَعْدَ أَنْ تَشَبَّثْنا بِلَوْحٍ خَشَبِيٍّ ساقَتْهُ الأَمواجُ مِنَ السَّفِينةِ الغارِقَة».

سَـأَلَـهُ الشَّيْـخُ ذَاهِـلاً: «مَنْ أنتَ؟ ومِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَـذِهِ الحَيَواناتِ والطُّيُور؟».

رَدَّ الفَتَى: «إنَّني بَهْلَوانٌ أُدْعَى «مَهْـران».. وهَؤُلاء أَفْـرادُ فِـرْقَتي وَهُمْ بِٱلتّـرتيبِ: الكَلْبُ «مِيمي» والقِرْدُ «سِيسي» والـدُّبَـةُ «فِيفي» والبَبْغاءُ «كِيكي».. لَقَدْ كُنّا نُقَدِّمُ عُروضَنا لِكَسْبِ عَيْشِنـا فَوْقَ السَّفينَةِ قَبْلَ أنْ تَغْرقَ.. تُـرَى إلَى أيِّ البِلادِ وَصَلْنـا، وفِي أَيِّ آتِّجاهٍ ساقَتْنا الرِّياحُ ودَفَعَتْنا الأَمْواج؟».

صَاحَ الشَّيْخُ بِفَزَعٍ: «إبْتَعِدْ يـا بُنَيَّ مِن هُنا.. إبْتَعِـدْ وإلاَّ أصابَكَ ما أصابَنا».

دُهِشَ «مَهْران» البَهْلَوانُ عِنْدَما سَمِعَ كَلِماتِ الشَّيْخِ، أمَّـا الكَلْبُ الصَّغيرُ «مِيمي» فأَخَـذَ يَسِيرُ عَلَى قَـدَمَيْهِ الخَلْفِيَّتَيْنِ رافِعـاً يَدَيْهِ الأَماميَتَيْنِ فِي سُرُورٍ لِنَجاتِهِ ورِفاقِهِ، وراحَ القِرْدُ يَرْفَـعُ قبَّعتَهُ ويُعيـدُهـا إلَى رَأْسِـهِ مَـرَّاتٍ عَـديـدَةٍ كـأَنَّـهُ يُحَيـيِّ أشْخـاصـاً حـاضِـرينَ.. عَلَى حِينَ أخَـذَتِ الـدُّبّـةُ «فيفي» تَتمـرَّغُ فَـوْقَ الشَّاطِئِ بِسَعادَةٍ مُتَقَلِّبَةً فَوْقَ الرِّمالِ كـالكُرَةِ.. وأَخَـذَتِ البَبْغاءُ

المُلَوَّنةُ تُقَلِّدُ كَلِماتِ الشَّيْخِ المُرْتَعِشِ بِنَفْسِ نَبَراتِ صَوْتِهِ وبِقَدْرٍ كَبيرٍ مِنَ المَهارَة.

تَأَمَّلَ الشَّيْخُ ذَلِكَ الخَليطَ العَجيبَ مِن المَخْلُوقاتِ، وتَمْتَمَ بِكَلِماتٍ لا مَعْنى لَها، وهَتَفَ فِي «مَهْران»: «لَقَدْ نَصَحْتُكَ يا وَلَدِي.. وأَنْتَ حُرٌّ فِيما تَفْعَلُ.. والآنَ سَأَنْصَرِفُ وإلَّا جَلَدَنِي رِجالُ القُرْصانِ «سَعْدان» إنْ وَجَدُوني فِي غَيْرِ مَكانِ عَمَلي.. فَهُمْ لا يَرْحَمُونَ شابًّا ولا شَيْخاً».

وأَسْرَعَ مُبْتَعِداً وتَرَكَ «مَهران» فِي حَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ ممّا قالَهُ.

إلْتَفَتَ «البَهْلَوانُ» إلَى رِفاقِهِ وقالَ لَهُمْ: «إنَّني لَمْ أَفْهَمْ شَيْئاً مِمّا قالَهُ ذَلِكَ الشَّيْخُ يا رِفاقُ.. ما رَأْيُكُمْ فِي أنْ نَسْتَكْشِفَ الأُمُورَ بِأَنْفُسِنا فِي هَذَا المَكان؟».

وسارَ الجَميعُ نَحْوَ القَرْيَةِ.. «مَهْران» البَهْلَوانُ فِي المُقدِّمةِ، وخَلْفَهُ الكَلْبُ الصَّغِيرُ «مِيمي» وخَلْفَهُما القِرْدُ الكَبِيرُ «سِيسي» وخَلْفَ الجَمِيعِ الدُّبَّةُ الضَّخْمةُ «فِيفي» وفَوْقَهُمْ البَبغاءُ الزَّاهِيَةُ «كِيكي».

وَفَجْأَةً صاحَتِ البَبْغاءُ وهِيَ تَنْظُرُ إِلَى بَعيدٍ، وقالَتْ: «غُرباءُ.. غُرباءُ..».

أَحسَّ «مَهْران» بِنَذِيرِ الخَطَرِ والشَّرِّ، فَالتَفَتَ إِلَى رِفاقِهِ وهَتَفَ فِيهِمْ: «إِخْتَبِئُوا يا رِفاقُ، فَلَعَلَّ حَديثَ الشَّيْخِ كانَ صَحيحاً، وقَدْ نُصادِفُ خَطَراً فِي هَذَا المَكان».

أَسْرَعَ الكَلْبُ والقِرْدُ والدُّبَّةُ يَخْتَبِئُونَ خَلْفَ أَقْرَبِ صَخْرَةٍ، أمّا البَبْغاءُ فَحَلَّقَتْ بَعِيداً كَيْ لا تَطُولَها أَيْدِي القادِمينَ بِسُوءٍ.

إِقْتَرَبَ ثَلاثَةٌ مِنَ القَراصِنَةِ يَحْمِلُونَ السَّكاكِينَ والخَناجِرَ والسُّيُوفَ، ودُهِشَ «مَهْران» البَهْلَوانُ مِن مَنْظَرِهِم العَجِيبِ المُخيفِ، فَقَدْ كانَ أَحَدُهُمْ بِعَينٍ زُجاجِيَّةٍ والثّاني أكتَحُ بِيَدٍ صِناعِيةٍ والثّالِثُ أعْرَجُ بِساقٍ خَشَبِيّةٍ.

صاحَ الأَعْوَرُ فِي «مَهْران»: «مَنْ أنتَ أَيُّها الفَتَى، وكَيْفَ وَصَلْتَ إِلَى هَذَا المَكانِ؟».

رَدَّ «مَهْران»: «إِنَّنِي فَتًى مِسْكينٌ غَرِقَتْ سَفينَتُهُ وأَلْقاهُ المَوْجُ إِلَى الشَّاطِئِ هُنا».

قالَ الأَكْتَحُ لِرَفيقَيْهِ: «دَعُونا نـأْخُذُهُ إِلَى زَعيمِنـا القُرْصـانِ حَتَّى يَبُتَّ فِي أَمْرِهِ».

وقالَ الأَعْرَجُ بِشـكٍّ: «نَعَمْ نَعَمْ.. فَرُبَّمـا كانَ هَـذَا الفَتَى كاذِباً، ولَعَلَّهُ مِنَ الأَعْداء».

وشَهَـرَ الثَّلاثَـةُ سُيُوفَهُمْ وسَكـاكِينَهُمْ وخَناجِـرَهُمْ وأَحاطُـوا «بِمَهْـرانَ»، وآقْتـادُوه إِلَى زَعيمِهِم القُـرْصـانِ «سَعْـدان»، وكـانَ جـالِساً يَـأْكُلُ بِنَهْمٍ شَـدِيدٍ وأَمَـامَهُ أَكْـوامٌ مِنَ الفاكِهَـةِ واللُّحُـومِ وأَقْداحٌ مُتْرعةٌ مِنَ الشَّراب.

وعِنْـدَما شـاهَـدَ القُـرْصـانُ «مَهْـران» البَهْلَوانَ تَسـاءَلَ فِي دَهْشَةٍ: «مَنْ هَذَا الفَتَى؟».

رَدَّ القُـرْصانُ الأَعْـوَرُ ذُو العَيْنِ الزُّجـاجِيّةِ: «إِنّـهُ يَدّعي أَنَّ الأَمْواجَ أَلْقَتْهُ عَلَى شَاطِئِ القَرْيَةِ بَعْدَ غَرَقِ سَفِينَتِه».

حَـدَّقَ القُـرْصـانُ «سَعْـدان» فِي «مَهْـران» بِعَيْنـهِ السَّلِيمَـةِ المُخيفَـةِ، وقـالَ بِصَـوْتِـهِ الغَليظِ: «خُـذْهُ إِلَى السِّجْنِ.. وَفِي الصَّباحِ آقْتُلُوه أَمامَ سُكَّانِ القَرْيَةِ حَتَّى نُخيفَهُم».

فَرَكَ الأَكْتَحُ يَدَهُ السَّليمةَ فِي يَدِهِ الخَشَبِيَّةِ وقالَ بِسُرُورٍ: «هَذَا جَميلٌ جِدًّا، فَمُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ لَمْ نَقْتُلْ أَحَداً، ولَمْ أَسْتَخْدِمْ ذِراعَيَّ فِي الضَّرْبِ والطَّعْنِ».

ولَمَعَتْ عَيْنُ الأَعْورِ الزُّجاجِيَّةُ وهُوَ يَقُولُ: «سَيَكُونُ هَذَا شَيْئاً مُمْتِعاً جِدًّا لِمَنْ يُشاهِدُهُ!».

وضَرَبَ الأَعْرَجُ الأَرْضَ بِساقِهِ الخَشَبِيَّةِ وهُوَ يَقُولُ: «سَوْفَ أَرْقُصُ فِي الصَّباحِ عِنْدَ قَتْلِ هَذَا الفَتَى لِشِدَّةِ سُرُوري!».

وآقْتادَ الثَّلاثَةُ «مَهْران» البَهْلَوانَ إِلَى إِحْدَى غُرَفِ مَنْزِلِ الحَدَّادِ فَحَبَسُوهُ فِيها. وكانَتْ هَذِهِ الغُرْفَةُ مَصْنُوعَةً مِنَ الفُولاذِ، ولَيْسَ بِها مَنْفَذٌ سِوَى بَابٍ يَقِفُ عَلَى حِراسَتِهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ القَراصِنَةِ، ونافِذَةٍ ذاتِ قُضْبانٍ حَدِيدِيَّةٍ عالِيَةٍ يَسْتَحِيلُ عَلَى أَيِّ إِنْسانٍ تَحْطيمُها أو الهَرَبُ مِنْها.

شاهَدَتِ الببْغاءُ «كِيكي» كُلَّ ما جَرَى لِصاحِبِها البَهْلَوانِ «مَهْران»، فَطارَتْ ثُمّ عادَتْ ومَعَهَا الدُّبّةُ «فِيفي» وهُما يَتَسلَّلانِ نَحْوَ خَلْفِيةِ المَنْزِلِ فِي سُكُونٍ.

أَطَلَّتِ الدُّبَّةُ مِنَ النَّافِذَةِ الحَدِيدِيَّةِ فَشاهَدَتْ صاحِبَها البَهْلَوانَ راقِداً فَوْقَ الأَرْضِ، وقَدْ وَضَعَ رَأْسَهُ بَيْنَ كَفَّيْهِ حُزْناً وأَلَماً. ومَدَّتِ الدُّبَّةُ يَدَيْها الضَّخْمَتَيْنِ بَعْدَ أن خَلَعَتْ قَفازَها، وأَخَذَتْ تُحاوِلُ زَحْزَحَةَ قُضْبانِ النَّافِذَةِ الحَدِيدِيَّةِ، حَتَّى تَمَكَّنَتْ مِنْ خَلْعِها. وٱبْتَهَجَ البَهْلَوانُ عِنْدَما شَاهَدَ ما حَدَثَ، وقَفَزَ قَفْزَةً عالِيَةً نَحْوَ النَّافِذَةِ فَتَعَلَّقَ بِها، وخَرَجَ مِنَ النَّاحِيَةِ الأُخْرَى بِدُونِ أَنْ يُلاحِظَهُ أَحَدٌ مِن الحُرَّاس.

إِنْضَمَّ «مَهْران» البَهْلَوانُ إِلَى بَقِيَّةِ رِفاقِهِ وقَالَ لَهُمْ: «لَقَدْ عَرَفْتُ يا أَصْدِقائِي أَنَّ هَذِهِ القَرْيَةَ قَدِ ٱسْتَوْلى عَلَيْها بَعْضُ القَراصِنَةِ وأَذَلُّوا أَهْلَها، ومِنْ واجِبِنا مُساعَدَتُهم وَلَوْ بِٱلتَّرْفِيهِ عَنْهُمْ وتَخْفِيفِ آلامِهِم، فَهَذا هُوَ عَمَلُنا الَّذِي نُحْسِنُهُ. فَما رَأْيُكُمْ؟».

وافَقَ الكَلْبُ والقِرْدُ والبَبْغاءُ والدُّبَّةُ، وقالَ «مَهْران»: «والآنَ دَعُونا نَنامُ.. وفِي الصَّباحِ نَقُومُ بِعَمَلِ ما ٱتَّفَقْنا عَلَيْهِ».

وتَمَدَّدَ الأَرْبَعَةُ فَوْقَ الشَّاطِئِ خَلْفَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ نائِمينَ، عَلَى حِينَ بَقِيَتِ البَبْغاءُ «كِيكي» ساهِرَةً لِحِراسَتِهِمْ.

* * *

فِي الصَّباحِ إِكْتَشَفَ القَراصِنَةُ هُرُوبَ «مَهْران» البَهْلَوانِ فأَصابَهُم الغَضَبُ الشَّدِيدُ، لِأَنهُمْ كانُوا يُرِيدُونَ إِمْتاعَ أَنْفُسِهِمْ بِقَتْلِهِ ورُؤْيَةِ دِمائِهِ وهِيَ تَسِيلُ، وكانَ أَشَدَّهُمْ غَضباً هُوَ القُرْصانُ «سَعْدان» الَّذِي صاحَ فِي رِجالِهِ صَيْحَةً مُرْعِبَةً: «إِذْهَبُوا وآبْحَثُوا عَنْ هَذَا الفَتَى وآئْتُونِي بِهِ فِي الحَال».

فآنْطَلَقَ القَراصِنَةُ داخِلَ القَرْيَةِ يُفَتِّشُونَ ويَبْحَثُونَ ويُنَقِّبُونَ عَنِ البَهْلَوان.

أما «مَهْران»، فَما أَنِ آسْتَيْقَظَ فِي الصَّباحِ، حَتَّى شاهَدَ جُمُوعَ سُكَّانِ القَرْيَةِ مُتَّجِهِينَ إِلَى أَعْمالِهِمْ بُوُجُوهٍ يَسُودُهَا الوُجُومُ، ومَلامِحَ كَساها الذُّلُّ والهَزِيمَةُ والانْكِسارُ، فَصاحَ فِي رِفاقِهِ: «هَيَّا أَيُّها الأَصْدِقاءُ، لِنُقَدِّمْ عُرُوضَنا وأَلْعابَنا إِلَى هُؤُلاءِ المَساكِينِ لِنُخَفِّفَ قَلِيلاً مِمَّا يُعانُونَ».

وبَدَأَ مَهْران بِتَقْدِيمِ عُرُوضِهُ مَعَ فِرْقَتِهِ مِنَ الحَيَواناتِ والطَّيْرِ. . فأَخَذَ يَسِيرُ فَوْقَ حَبْلٍ رَفِيعٍ مَدَّهُ بَيْنَ شَجَرَتَيْنِ عالِيَتَيْنِ بِمَهارَةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ، أَمّا الكَلْبُ «مِيمي» فَراحَ يَسِيرُ عَلَى قَدَمَيْهِ الخَلْفِيَّتَيْنِ رافِعاً يَدَيْهِ الأَمامِيَّتَيْنِ، وأَخَذَ القِرْدُ «سِيسي» يُقَدِّمُ

قَفَـزاتٍ ورَقَصاتٍ بَهْلَوانِيّـةً وهُـوَ يَتَشَقْلَبُ لِلْخَلْفِ والأَمـامِ ، أمّـا الدُّبَّةُ «فِيفي» فَقَدْ رَاحَتْ تَرْفَعُ يَدَيْهـا بِالسَّـلامِ لِلواقِفِينَ وتَضْرِبُ فَوْقَ طَبْلَةٍ صَغِيرَةٍ كَانَتْ تَحْتَفِظُ بِها حَـوْلَ عُنُقِها، وقَلَّدَتِ البَبْغـاءُ «كِيكي» غِناءَ البَحَّارةِ فَوْقَ سُفُنِهِم.

كانَ عَدَدُ المُشـاهِدِينَ مِنْ أَهْـلِ القَرْيَـةِ كَبِيراً، ثُمَّ أخَـذُوا يَنْصَرِفُونَ واحِداً وَرَاءَ الآخَرِ بِدُونِ أنْ تَعْلُوَ بَسْمَةٌ فَـوْقَ وُجُوهِهِمْ، أو تَنْفَرِجَ مَلامِحُهُمْ بِابْتِسامَةٍ، حَتَّى انْصَرَفُوا جَميعاً ولَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يُشاهِدُ البَهْلَوانَ وفِرْقَتَهُ.

تَـوَقَّفَ «مَهْران» مُتَعَجِّبـاً وقالَ لِـرِفاقِـهِ: «ماذَا حَـدَثَ أيُّهـا الزُّمَلاءُ.. يَبْدُو أَنَّ عُرُوضَنـا لَمْ تُعْجِبْ هَؤُلاءِ النَّاسَ، رُغْمَ أنّهـا كَـانَتْ تُضْحِكُ كُـلَّ مَنْ يَراهـا، فَما السَّبَبُ يـا تُـرَى؟» صـاحَتِ البَبْغاءُ «كِيكي»: «قُرْصانٌ.. قُرْصانٌ».

هَزَّ «مَهْران» رَأْسَهُ وقالَ: «إنّكِ عَلى حَقٍّ يا «كِيكي».. إنَّ هَؤُلاءِ المَساكِينَ لِكَثْرةِ ما عَانُوا مِنْ ظُلْمِ القَراصِنَةِ وقَسْوَتِهِمْ، لَمْ يَعُدْ يُضْحِكُهُمْ أيُّ شَيْءٍ، وهُوَ أمْرٌ مُؤْسِفٌ».

فَجْـأَةً صَرَخَ بَعْضُ القَـراصِنَـةِ مِنْ بَعيـدٍ عِنْـدَمـا شـاهَـدُوا «مَهْران»، وآنْدَفَعُوا نَحْوَهُ شاهِرينَ سُيُوفَهُمْ، فَصاحَ «مَهْـران» فِي أَصْدِقائِهِ يَطْلُبُ مِنْهُمْ الاخْتِفاء. وَعَلَى الفَوْرِ أَسْرَعَ الكَلْبُ والقِرْدُ والدُّبّةُ هارِبينَ، أمّا البَبْغاءُ فَطارَتْ عَـالِياً مُبْتَعِـدَةً وهِيَ تَصيحُ فِي فَزَعٍ.

إنقَضَّ القَراصِنَةُ عَلَى «مَهْـران» فَقَبَضُوا عَلَيْـه وقَيّدُوا يَـدَيْهِ وقَـدَمَيْهِ، وآقْتـادُوهُ إِلَى القُرْصـانِ «سَعْـدان». وعِنْـدَمـا شـاهَـدَهُ القُرْصانُ هَتَفَ فِي غَيْظٍ: «إِرْبِطُوا هَذَا الفَتَى مِنْ كَتِفَيْهِ فِي أَعْلَى شَجَـرَةٍ بِآلقَـرْيَةِ، حَتَّى تَشْـوِيَهُ الشَّمْسُ وتَنْقُـرَهُ الغُرْبـانُ.. وَقِفُوا لِحِراسَتِهِ حَتَّى تَضْمَنُوا ألاّ يَصْعَدَ مَخْلُوقٌ لِمُساعَدَتِهِ.. ولا تُنْزِلُوه مِن مَكانِهِ إلاّ بَعْدَ مَوْتِهِ لِيَكُونَ عِبْرَةً لِغَيْرِهِ».

أَسْرَعَ القَراصِنَـةُ فَرَبَـطُوا قَدَمَيْ «مَهْـران»، ثُمّ عَلَّقُوهُ فَـوْقَ أَعْلَى شَجَرَةٍ، وقَدْ تَدَلَّى رَأْسُهُ إِلَى أَسْفَل، وبَقِيَ هَكَذا مَنْكُوساً، لِتَشْوِيَهُ الشَّمْسُ وتَنْقُرَهُ الغُرْبـانُ، وَوَقَفُوا لِحِـراسَتِهِ حَتَّى لا يُنْقِـذَهُ إِنْسانٌ مِن مَصِيرِهِ المَحْتُوم.

* * *

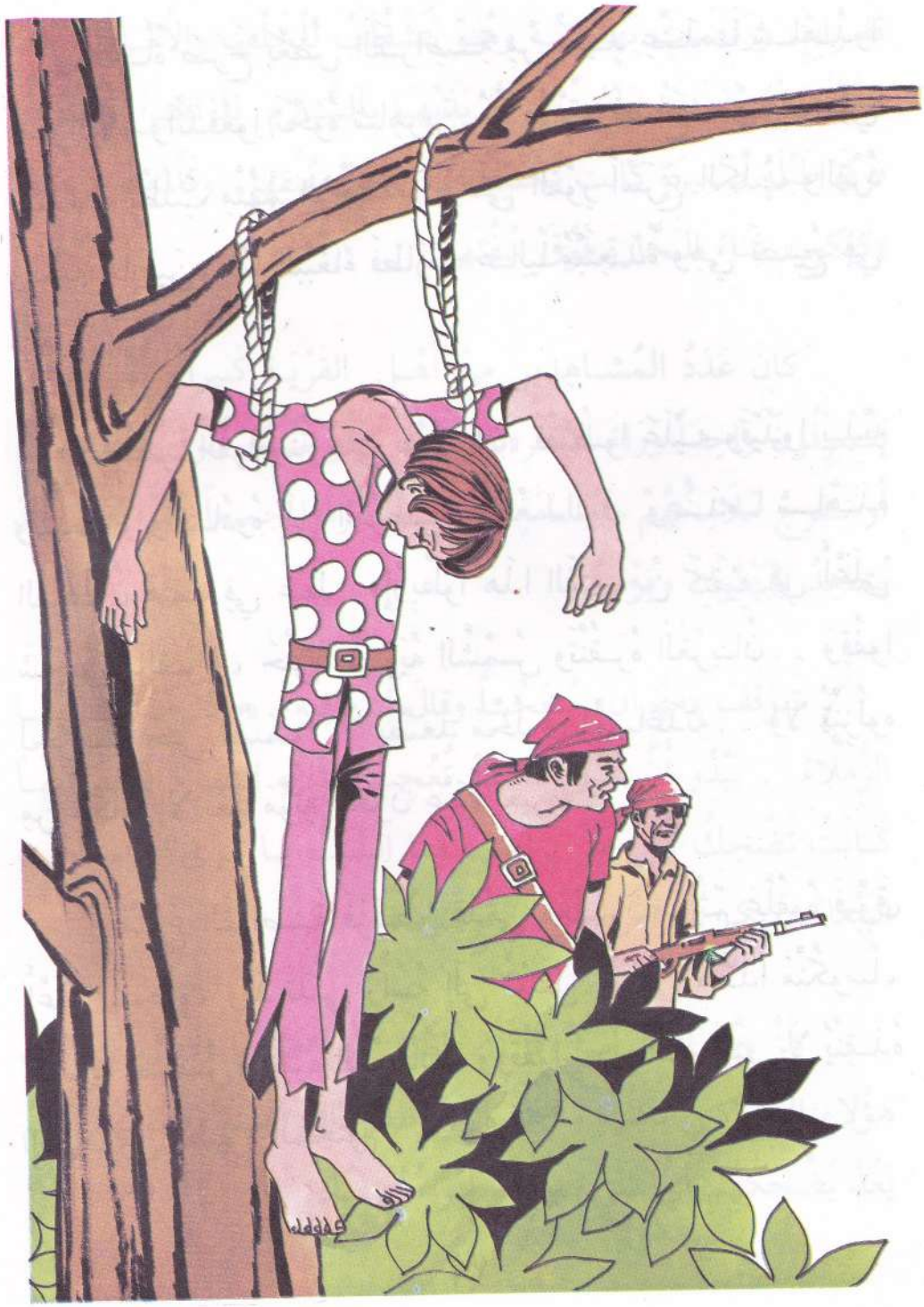

شاهَدَتِ البَبْغاءُ «كِيكي» ما حَدَثَ لِصاحِبِها البَهْلَوانِ، وفِي لَحَظاتٍ إِسْتَدْعَتْ بَقِيّةَ رِفاقِها، فَتَسَلَّلُوا مُقْتَرِبينَ بِدُونِ أن يَراهُمُ القَراصِنَةُ الَّذِينَ وقَفُوا عَلَى حِراسَةِ «مَهْران»، وشاهَدُوهُ مُعَلَّقاً مِنْ كَتِفَيْهِ فِي فَرْعِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ.

تَشاوَرَتِ الحَيواناتُ الثّلاثَةُ والبَبْغاءُ فِيما تَفْعَلُهُ، وآنْتَظَرُوا إِلَى أنْ حَلَّ الظّلامُ وسَادَتِ العَتْمَةُ المَكانَ، وقَفَزَ القِرْدُ «سِيسي» مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى بِدُونِ أنْ يُلاحِظَهُ القَراصِنَةُ، حَتَّى آسْتَقَرَّ بَعْدَ قَفْزَةٍ ماهِرَةٍ فَوْقَ شَجَرَةِ «مَهْران»، وآنْتَظَرَ ما سَتَفْعَلَهُ البَبْغاءُ «كِيكي» لِتَنْفيذِ بَقِيَّةِ الخُطَّةِ الَّتِي آتّفَقُوا عَلَيْها.

وبَعْدَ لَحَظاتٍ صَرَخَتِ البَبْغاءُ «كِيكي» بِصَوْتٍ عالٍ فِي القَراصِنَةِ مُسْتَتِرَةً بِآلظَّلامِ: «الأَعْداءُ يُهاجِمُونَ مِنَ البَحْرِ.. أَسْرِعُوا لِمُقاتَلَةِ الأَعْداءِ أَيُّها الرِّفاق».

وعَلَى الفَوْرِ انْدَفَعَ القَراصِنَةُ شاهِرِينَ سُيُوفَهُمْ وهُمْ يَعْدُونَ تِجاهَ البَحْرِ، وقَدْ ظَنُّوا أنَّ أَحَدَ زُملائِهِمْ يُحَذِّرُهُمْ مِن هُجُومِ الأَعْداءِ عَلَيْهِم.

وفِي الحَالِ أَسْرَعَ القِرْدُ «سِيسي» بِحَلِّ الحِبالِ الَّتِي تَرْبِطُ كَتِفَيْ صاحِبِهِ «مَهْران»، فَسَقَطَ بَيْنَ ذِراعَيْ الدُّبّةِ «فِيفي»، فَحَمَلَتْهُ فَوْقَ كَتِفِها، وأَسْرَعَتْ بِهِ هارِبَةً، وآخْتَفَى الجَميعُ فِي أَطْرافِ القَرْيةِ بَعيداً عَنْ عُيُونِ القَراصِنَة.

قال «مَهْران» البَهْلَوانُ لِرِفاقِهِ: «لا أَدْرِي كَيْفَ أَشْكُرُكُمْ أيُّها الأَصْدِقاءُ الأَوْفِياءُ.. لَقَدْ أَنْقَذْتُمْ حَياتِي لِلمَرَّةِ الثّانِية».

نَبَحَ الكَلْبُ «مِيمي» كأنّهُ يَقُولُ إنّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا إلاَّ الوَاجِبَ تِجاهَ صَدِيقِهِمْ ووَلِيِّ نِعْمَتِهِم.

وقالَ «مَهْران» مُفَكِّراً: «لَا يَجِبُ أَنْ نَتَخَلَّى عَنْ سُكّانِ هَذِهِ القَرْيَةِ الطَّيِّبِينَ.. وعَلَيْنا بِمُساعَدَتِهِم».

تَساءَلَتِ البَبْغاءُ «كِيكي» بِصَوْتٍ حَادٍّ: «كَيفَ.. كَيْفَ؟»

قالَ «مَهْران»: «إنّنا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحارِبَ القَراصِنَةَ ونَهْزِمَهُمْ لأنّهُمْ أَكْثَرُ عُدَّةً وعَدداً.. وكُلُّ ما يُمْكِنُنا أَنْ نُقَدِّمَهُ لِأَهْلِ القَرْيَةِ الطَّيِّبِينَ هُوَ أَنْ نُحاوِلَ التَّخْفِيفَ عَنْهُمْ وإضْحاكَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى، لَعَلَّ ذَلِكَ يُبَدِّدُ شَيْئاً مِنْ بُؤْسِهِمْ وحُزْنِهِمْ، ويَجِبُ أَنْ نَكُونَ حَذِرِينَ هَذِهِ المَرَّةَ، لِئَلا يُمْسِكَ بِي القَراصِنَةُ مَرَّةً أُخْرَى».

وفِي الصَّباحِ التَّالِي تَجَمّعَ «مَهْران» ورِفاقُهُ مِن الحَيواناتِ عَلَى مَشارِفِ القَرْيَةِ، حَيْثُ خَرَجَ سُكّانُها ذاهِبينَ إِلَى أَعْمالِهِمْ، أمّا البَبْغاءُ «كِيكي» فَحَلَّقَتْ عالِياً تَسْتَطْلِعُ مَجِيءَ القَراصِنَةِ، لِتَحْذيرِ «مَهْران» البَهْلَوانِ قَبْلَ وُصُولِهِمْ إِلَيْهِ فَيُسْرِعَ بِالهَرَبِ والاخْتِفاء. وكانَ «مَهْران» ورِفاقُهُ مِنَ الحَيواناتِ قَدْ أَعَدُّوا عُدَّتَهُمْ لِتَقْدِيمِ عُرُوضِهِمْ، فَصَبَغَ «مَهْران» وَجْهَهُ بِاللَّونِ الأَحْمَرِ وأَنْفَهُ بِاللَّونِ الأَصْفَرِ، وأَخَذَ يَقُومُ بِحَرَكاتٍ مُضْحِكَةٍ لإِمْتاعِ مُشاهِديهِ مِنْ أَهْلِ القَرْيَةِ الطَّيِّبينَ. وقَفَزَ القِرْدُ «سِيسي» إِلَى الأَمامِ والخَلْفِ، وسارَ عَلَى يَدَيْهِ ثُمّ عَلَى قَدَمَيْه بِطَرِيقَةٍ عَجِيبَةٍ مُدْهِشَةٍ، ورَقَصَتِ الدُّبّةُ «فِيفي» وهِيَ تَحْجِلُ بِقَدَمٍ واحِدَةٍ بِطَرِيقَةٍ رَشيقَةٍ. والكَلْبُ «مِيمي» يَقْفِزُ فَوْقَها قَفَزاتٍ بارِعَةً كَأَنَّهُ بَرْغُوثٌ ماهِرٌ فِي القَفْزِ، ثُمّ يَعُودُ لِيَقْفِزَ داخِلَ حَلْقَةٍ بِداخِلِها النَّارُ، أَشْعَلَها القِرْدُ «سِيسي»، بِدُونِ أَنْ تَمَسَّهُ النّيرانُ بِأَذًى.

كانَ العَرْضُ مُمْتِعاً، وبَذَلَ «مَهْران» ورِفاقُهُ جُهْداً كَبيراً فِي أَدائِهِ، ولَكِنَّ المُشاهِدِينَ مِنْ أَهْلِ القَرْيَةِ لَمْ يَضْحَكُوا، أو حَتَّى يَبْتَسِموا وهُمْ يُشاهِدُونَ ما يُقَدَّمُ لَهُمْ. فَقَدْ كانَتْ أَحْزانَهُمْ وآلامَهُمْ لاَ مَزيدَ عَلَيْها، فَانْصَرفُوا فِي صَمْتٍ ووُجُومٍ، بِدُونِ أَنْ

يُسَليهُمْ ما يُشاهِدُونَ أو يُخَفِّفَ عَنْهُمْ. . حَتَّى لَمْ يَعُدْ هُناكَ أَحَدٌ يُشاهِدُ البَهْلَوانَ «مَهْران» ورِفاقَهُ، فَتَوقَّفُوا عَنْ تَقْدِيمِ أَلْعابِهِمْ حَزِينِينَ، وأَطْرَقُوا بِرُؤوسِهِمْ صامِتِينَ.

أمّا البَبْغاءُ «كِيكي»، فَقَدِ آنْشَغَلَتْ بِمُطارَدَةِ فَراشَةٍ صَغِيرَةٍ ومُداعَبَتِها، فَلَمْ تُتِحْ لَها مُشاهَدَةُ القَراصِنَةِ وهُمْ يَقْتَرِبُونَ باحِثِينَ عَنْ رَفِيقِها البَهْلَوانِ، ولَمْ تَفْطِنْ إِلَى الخَطَرِ المُحدِقِ بِصَدِيقِها، إلاَّ بَعْدَ أنْ ضاعَتْ فائِدَةُ أيِّ تَحْذِيرٍ، وصَرَخَتْ «كِيكي» تُحَذِّرُ «مَهْران». فَأَسْرَعَ الكَلْبُ والقِرْدُ والدُّبُّ هارِبِينَ، ولَمْ يُتِحْ «لِمَهْران» أنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُمْ، فَما كانَ لَهُ مِثْلُ سُرْعَتِهِمْ. وآنْدَفَعَ القَراصِنَةُ نَحْوَ «مَهْران» وأَلْقَوْا القَبْضَ عَلَيْهِ، وآقْتادُوه إِلَى زَعيمِهِمُ القُرْصانِ «سَعْدان»، وهُمْ يَسْخَرُونَ مِن وَجْهِهِ المُلَوَّنِ بِالأَلْوانِ والأَصْباغ.

وعِنْدَما شاهَدَ القُرْصانُ «سَعْدان» البَهْلَوانَ «مَهْران» أَصابَهُ غَيْظٌ شَدِيدٌ وقالَ لَهُ: «لا أَدْرِي كَيْفَ تَهْرُبُ مِنّا فِي كُلِّ مَرَّةٍ وتَنْجُو بِنَفْسِكَ، ولَكِنْ هَذِهِ المَرَّة، سَوْفَ تَكُونُ الأَخِيرةَ ولَنْ تَسْتَطِيعَ النّجاةَ أَبَداً».

وصاحَ فِي رِجالِهِ: «ارْبُطُوا يَدَيْ وقَدَمَيْ هَذَا الفَتَى المُشاغِبِ، وألْقُوهُ فِي البَحْرِ لِيَمُوتَ غرقاً».

فأَسْرَعَ القَراصِنَةُ يُنَفِّذُونَ أَمْرَ زَعيمِهِمْ، فَقَيَّدُوا ذِراعَيْ وقَدَمَيْ «مَهْران»، وحَمَلُوهُ فِي أَحَدِ زوارِقِهِمْ، وجَدَّفوا بِهِ إِلَى قَلْبِ البَحْرِ، ثُمّ أَسْقَطُوه مُقَيَّداً فِي جَوْفِ الماءِ.. وبَعْدَها جَدَّفُوا عائِدينَ إِلَى الشَّاطِئِ وهُمْ مَسْرُورُونَ لإِغْراقِ «مَهران» البَهْلَوانِ.

* * *

كانَ أَصْدِقاءُ «مَهْران» مِنَ الحَيَواناتِ والطُّيُورِ واقِفينَ يُشاهِدُونَ ما يَجْرِي عَنْ بُعْدٍ، وعِنْدَما شاهَدُوا القراصِنَةَ وهُمْ يَحْمِلُونَ صَديقَهُمْ البَهْلَوانَ لإِلْقائِهِ مُقَيّداً فِي البَحْرِ، أَسْرَعَ الكَلْبُ «مِيمي» سابِحاً فِي شجاعَةٍ خَلْفَ زَوْرَقِ القَراصِنَةِ محاذِراً ألاَّ يَلْمَحُوهُ. وعِنْدَما أَلْقَوا بِمَهْران فِي قَلْبِ الماءِ إِنْدَفَعَ الكَلْبُ بِشَجاعَةٍ يَحِلُّ قُيُودَ صَديقِهِ بِأَسْنانِهِ، فَصارَ «مَهْران» حُرًّا طَليقاً، قَبْلَ أَنْ يَغْرَقَ، وسَبَحَ حَتَّى الشَّاطِئِ ومَعَهُ الكَلْبُ «مِيمي»، وٱسْتَقْبَلَهُما بَقِيَّةُ رِفاقِهِما بِصَخَبٍ وسُرُورٍ لا مَثيلَ لَهُما، فَرِحينَ بِعَوْدَةِ «مَهْران» سالِماً.

وصَرَخَتِ البَبْغاءُ «كِيكي»: «دَعُونا نَرْحَل.. نَرْحَل.. هَذَا المَكانُ خَطِرٌ.. خَطِرٌ.. القَراصِنَةُ مُتَوحِّشُونَ.. مُتَوحِّشُون..».

ولَكِنَّ «مَهْران» رَفَضَ رَأْيَ البَبْغاءِ وقالَ: «لا يا «كِيكي».. بَلْ يَجِبُ أنْ نَبْقَى لِمُساعَدَةِ أَهْلِ القَرْيَةِ الطَّيِّبينَ المَساكِينِ، وإذا كُنّا لا نَمْلِكُ القُوّةَ لِنُحارِبَ بِها هَؤُلاءِ القَراصِنَةَ المُتَوحشينَ، فَيَجِبُ أنْ نَلْجَأَ إِلَى المُحايَلَةِ، ولَدَيّ حِيلَةٌ أَرْجُو أنْ تَنْجَحَ فِي خِداعِ القَراصِنَةِ وهَزيمَتِهِم».

وأَسَرَّ «مَهْران» بِخُطَّتِهِ إِلَى رِفاقِهِ، فَهَزُّوا رُؤُوسَهُمْ فِي إِعْجابٍ مُوافِقينَ. وكانَتِ الخُطَّةُ تَتَطَلَّبُ أنْ يَتَسلَّلَ القِرْدُ «سِيسي» إِلَى حُجْرَةِ القُرْصانِ «سَعْدان» حَيْثُ يَحْتَفِظُ بِكَنْزٍ مِنَ المُجَوْهراتِ واللآلِئ والزُّمُردِ والياقُوتِ، ويَأْتي بِبَعْضِها بِدُونِ أنْ يَراهُ أَحَدٌ مِنْ حُراسِها.

وبِالفِعْلِ تَمَكَّنَ القِرْدُ الذَّكِيُّ مِنَ التَّسلُّلِ إِلَى الحُجْرَةِ عَبْرَ نافِذَتِها العالِيَةِ، وآسْتَولَى عَلَى ما بِها مِن مُجَوْهَراتٍ عادَ بِها إِلَى «مَهْران»، وفِي الحالِ نَهَضَ «مَهْران» البَهْلَوانُ واتَّجَهِ إِلَى مَكانِ زَعيمِ القَراصِنَةِ «سَعْدان» لِتَنْفيذِ بَقِيَّةِ خُطَّتِهِ.

وعِنْدَما شاهَدَ القُرْصانُ «سَعْدان» البَهْلَوانَ «مَهْران» واقِفاً أَمامَهُ، حَيًّا مُعافًى، أَصابَهُ ذُهُولٌ عَظِيمٌ، وكفَّ عَنِ ٱلْتِهامِ ما أَمامَهُ مِنْ طَعامٍ، وٱنْتَفَضَ فَزِعاً، فٱهْتَزَّ كِرْشُهُ وتَرَجْرَجَ لَحْمُهُ، وقالَ لِمَهْران غَيْرَ مُصَدِّقٍ: «كَيْفَ نَجَوْتَ مِنَ الغَرَقِ أيُّها الفَتَى؟».

رَدَّ «مَهْرانُ» باسِماً: «لَقَدْ أَنْقَذَتْنِي مَلِكَةُ البَحْر».

قالَ القُرْصانُ مُنْدَهِشاً: «أَتَقُولُ: مَلِكَةُ البَحْرِ.. إِنَّنِي لَمْ أَسْمَع أَبَداً أَنَّ البَحْرَ لَهُ مَلِكَةٌ».

قالَ مَهْرانُ: «إِنَّها صَدِيقَتي، وهِيَ دَائِماً تُنْقِذُني مِنَ المَآزِقِ، فَقَدْ أَخْرَجَتْني مِنَ الزنْزانَةِ الَّتي حَبَسْتُمُوني فِيها، وحَرَّرَتْنِي مِنْ قُيُودِي عِنْدَما رَبَطْتُمُوني فِي الشَّجَرَةِ، وأَنْقَذَتْنِي مِنَ الغَرَقِ بَعْدَ أَنْ أَلْقَيْتُمُوني فِي اليَمِّ، ثُمّ ٱصْطَحَبَتْني فِي جَوْلَةٍ داخِلَ مَمْلَكَتِها الوَاسِعَةِ قَبْلَ أَنْ تُعيدَني سَالِماً إِلَى الشَّاطِئ».

تَساءَلَ القُرْصانُ «سَعْدان» مُنْدَهِشاً: «أَتَقُولُ: مَمْلَكَتَها الواسِعَةَ.. لا بُدّ أَنّها تَحْتَوِي عَلَى لآلِئَ وجَواهِرَ كَثيرةٍ؟».

رَدَّ «مَهْـران»: «أكْثَر مِمّـا تَتخَيّـلُ أيُّهـا القُـرْصـانُ.. فـإنّ لِجُدْرانِ مَمْلَكتِها حَوائِطَ مِنَ الذَّهَبِ وأَعْمِدةً مِنَ العاجِ والفضَّةِ، وثُريّاتٍ مِنَ المَاسِ واليَاقُوتِ والمُرْجانِ، وأما اللُّؤْلُؤُ فَـلاَ قِيمَةَ لَـهُ هُنـاكَ لِكَثْرَتِـهِ، حَتَّى أَنَّ الأَطْفالَ يَلْعَبُـونَ بِهِ فِي قَلْبِ المـاءِ كَما يَلْعَبُ الأَطْفالُ بِالحَصَى عَلَى الأَرْض».

وأَخْرَجَ مِن جَيْبِهِ المُجَوْهراتِ الَّتي سَـرَقَها القِـرْدُ «سِيسي» مِن حُجْرَةِ القُرْصانِ، وقالَ لَهُ: «أُنْظُر أَيُّها القُرْصانُ.. هَذَا جِـزْءٌ عَلَى أَلْفِ أَلْفٍ مِمَّـا تَحْتَـوِي عَلَيْـهِ مَمْلَكـةُ مَلِكَـةِ البَحْـرِ مِنْ مُجَوْهَراتٍ ونَفائِسَ، وقَدْ أَتَيْتُ مِنْ عِنْدها بِما مَلأَ جُيُوبي فَقَط».

حَـدَّقَ القُـرْصـانُ فِي المُجَـوْهـراتِ بِعَينـهِ السَّلِيمـةِ الَّتي آمْتَـلأَتْ بِـآلنَّهمِ والجَشَـعِ بـدُون أَنْ يُـدْرِكَ أنّهـا مِنْ ضِمْنِ مُجَـوْهـراتِـهِ لِشِـدَّةِ جَشَعـهِ وطَمَعِـهِ. وآخْتَـطَفَ مِنْ «مَهْـران» المُجَوْهَراتِ وتأَمَّلَها وهُوَ يَقُولُ ذاهِـلاً: «إنّها مُجَـوْهراتٌ حَقيقيَّـةٌ تَساوِي الكَثيرَ الكثِير».

وتَهَدَّجَتْ أنْفاسُهُ وسَأَلَ «مَهْران»: «وهَلْ هِيَ جَميلَةٌ مَلِكَـةُ البَحْرِ؟».

رَدَّ «مَهْران»: «إنَّها أَجْمَلُ مِمّا يَتصوّرُ أيُّ إنْسانٍ، فَعَيْناها كالزُّمُردِ الأَخْضَرِ، وشَعرُها كسُبُوكِ الذَّهبِ، وبَشْرَتُها بِلَوْنِ العَسَلِ المُصَفَّى، ويَداها بِرِقَّةِ نَدَى الفَجْرِ، وأَنْفاسُها مُعَطَّرةٌ مُسْكِرَةٌ كَرائِحَةِ المِسْكِ، وفِي الحَقيقَةِ أَنَّ مَلِكةَ البَحْرِ قَدْ طَلَبَتْ مِنّي أنْ أَبْقَى مَعَها وأَتَزَوَجها، لأتَمَتّعَ بِكُلِّ هَذِهِ الكُنُوزِ فَرَفَضْتُ، لِأَنَّني أَرْغَبُ فِي العَوْدةِ إِلَى قَرْيَتي والزَّواجِ مِنَ آبْنَةِ عَمِّي الَّتي أُحبُّها».

صاحَ القُرْصانُ «سَعْدان» بِصَوْتِهِ الغَليظِ الخَشِنِ قائِلاً: «أَنْتَ غَبِيٌّ.. غَبِيٌّ.. كَيْفَ يُمْكِنُ لِإنْسانٍ أنْ يَرفُضَ كُلَّ هَذِهِ الثَّرْوَةِ العَظيمَةِ.. لَيْتَنِي كُنْتُ مَكانَكَ لَتَزَوَجْتُ مَلِكَةَ البَحْرِ وصِرْتُ مَلِكاً عَلَى مَمْلَكَتِها.. ولَكِنْ كَيْفَ السَّبيلُ إِلَى ذَلِكَ ومَلِكَةُ البَحْرِ تُحِبُّكَ أَنْتَ لا أنا؟».

رَدَّ «مَهْران»: «هَذَا سَهْلٌ يا سَيِّدي القُرْصانُ، فَبَعْدَ أنْ رَفَضْتُ عَرْضَ مَلِكَةِ البَحْرِ بِزواجِي مِنْها، قَرَّرَتْ أن تَتَزوَّجَ أوّلَ إنْسانٍ يَهْبِطُ إِلَى قَلْبِ الماءِ، عِنْدَما يَكْتَمِلُ القَمَرُ فتُنَجِّيهِ مِنَ الغَرَقِ وتَتَزوّجُهُ».

صَرَخَ القُرْصانُ «سَعْدان» بِنَشْوةٍ وسُرُورٍ: «هَـذَا عَظِيمٌ.. عَظِيمٌ.. يا لَهُ مِنْ حَظٍّ حَسَنٍ، فَسَوْفَ يَكْتَمِلُ القَمَرُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، وسَوْفَ أَهْبِطُ إِلَيْها لِتتزوّجَني، وعِنْدَها أَصِيرُ مَلِكَ البَحْر».

ثُمْ هَمَسَ فِي أُذُنِ مُساعِدِهِ «عَدْنان» قائِلاً: «سَوْفَ أَتَزوَّجُ مَلِكَةَ البَحْرِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أَقْتُلُها وأَسْتَولِي عَلَى جَواهِرِها ولآلِئِها، وأَعُودُ بِها إِلَيْكُم، فَنَصيرُ أَغْنَى الأَغْنياءِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. ولَكِنْ لا تُخْبِرُوا هَذَا الفَتَى البَهْلَوانَ بِشَيءٍ عَنْ ذَلِكَ، لِئَلا يَذْهَبَ ويُحَذِّرَ مَلِكَةَ البَحْرِ فَتَحْتاطَ لي ولا تُمكِّنني مِنْ قَتْلِها».

وقَضَى القَراصِنَةُ بَقِيَّةَ اليَوْمِ فِي سُرُورٍ ورَقْصٍ وراحُوا يأْكُلُونَ ويَشْرَبُونَ سُعَداءَ، وهُمْ يُمَنُّونَ أَنْفسَهُمْ بِالثَّرْوةِ المُنْتَظَرَةِ الَّتِي سَيَعُودُ بِهَا زَعيمُهُم القُرْصانُ «سَعْدان»، بَعْدَ أنْ يَقْتُلَ مَلِكةَ البَحْرِ ويَسْتَولِيَ عَلَى جَوَاهِرَ ولآلِئَ مَملكتِها.

* * *

وفِي اللَّيْلِ عِنْدَما آكْتَمَلَ القَمَرُ فِي السَّماءِ، أَسْرَعَ القَراصِنَةُ وزَعيمهُم «سَعْدان»، ومَعَهُم الفَتَى «مَهْران» بِصُعُودِ

سَفينَةِ القَراصِنَةِ، وأَقْلَعُوا بِها إِلَى قَلْبِ البَحْرِ، وَوَقَفَ القُرْصانُ «سَعْدان» يَسْتَعِدُّ لإِلْقاءِ نَفْسِهِ فِي الماءِ، بَعْدَ أَنْ تَسَلَّحَ بِخَنْجَرٍ مَسْمُومٍ أَخْفاهُ تَحْتَ مَلابِسِهِ لِقَتْلِ مَلِكَةِ البَحْر.

ولَكِنّ «مَهْران» آعْتَرَضَهُ وقالَ لَهُ: «يَجِبُ أَنْ تَهْبِطَ إِلَى البَحْرِ وأَنْتَ مُقَيَّدٌ يا سَيِّدي القُرْصانُ حَتَّى تُنْقِذَكَ مَلِكَةُ البَحْرِ، فَهِيَ لا يُمْكِنُ أَنْ تَتَزَوَّجَ إِلّا مِمّنْ تُنْقِذُهُ مِنَ الغَرَق».

فَرَكَ القُرْصانُ «سَعْدانُ» يَدَيْهِ سُرُوراً وقالَ: «لَسَوْفَ تَعْشَقُني مَلِكَةُ البَحْرِ الجَميلَةُ حالَما تَراني، هَيَّا يا رِجالي قَيِّدُوا ساقَيَّ ويَدَيَّ ولَسَوْفَ أَعُودُ إِلَيْكُمْ قَبْلَ ظُهُورِ الفَجْر».

فَأَسْرَعَ القَراصِنَةُ يُقَيِّدُونَ زَعيمَهُمْ، ثُمّ حَمَلُوهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ وأَلْقَوهُ فِي اليَمِّ، وشاهَدُوهُ وهُوَ يَغُوصُ لِأَسْفَلَ ولا يَبينُ لَهُ أَثَرٌ بَعْدَها.

وقالَ القُرْصانُ «عَدْنان» مُساعِدُ الزَّعِيمِ «سَعْدان»: «الآنَ دَعُونا نَنْتَظِرُ عَوْدَةَ زَعِيمِنا ومَعَهُ المُجَوْهَراتُ والذهَب».

وبَقوا يَنْتَظِرُونَ ساعاتٍ طَوِيلةٍ حَتَّى أَوْشَكَ الفَجْرُ أَنْ يَطْلَعَ بَدُونِ أن يَبينَ أيُّ أَثَرٍ لِلقُرْصانِ «سَعْدان»، حَتَّى بَدأَ القَلَقُ يَتَسَلَّلُ

إِلَى نُفُوسِ القَراصِنَةِ. . وأَخَذُوا يَنْظُرونَ إِلَى مَهْران بِشَكٍّ وَرَيْبَةٍ أَنْ يَكُونَ قَدْ خَدَعَهُمْ.

وفَجْأَةً تَعالَى صَوْتٌ شَبِيهٌ بِصَوْتِ القُرْصانِ «سَعْدان» الغَليظِ الخَشِنِ وهُوَ يَقُولُ: «ساعِدُونِي يا رِجالُ. . إنَّ اللآلِئَ والمُجوهَراتِ هُنَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أَحْمِلَها وَحْدِي. . إِقْفِزُوا فِي المَاءِ لِمُساعَدَتي لِلْعَوْدَةِ بِها كُلِّها».

صاحَ القُرْصانُ ذُو العَيْنِ الزُّجاجِيَّةِ: «إِنَّهُ صَوْتُ زَعيمِنا القُرْصانِ «سَعْدان». . إنّه بِحاجَةٍ إِلَى مُساعَدتِنا لِحَمْلِ كُنُوزِ المَلِكَةِ وإِخْراجِها مِن قَلْبِ الماء».

وكَادَ يَقْفِزُ فِي الماءِ فأَوْقَفَهُ «مَهْران» قائِلاً: «يَجِبُ أَنْ تُقَيِّدَ يَدَيْكَ وذِراعَيْكَ أولاً حَتَّى تُنْقِذَكَ إِحْدَى جَواري مَلِكَةِ البَحْرِ وتَأْخذَكَ إِلَى مَمْلَكَتِها فَتَلْحَقَ بِالقُرْصانِ «سَعْدان»».

أَوْمأَ القُرْصانُ بِرَأْسِهِ مُبْتَهِجاً، وأَسْرَعَ القَراصِنَةُ جَميعُهُمْ يُقَيِّدُونَ أَذْرِعَةَ وأَقْدامَ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وكُلَّما قَيَّدُوا واحِداً مِنْهُمْ أَلْقَوْهُ فِي اليَمِّ لِيَلْحَقَ بِزَعيمِهِمْ. أمّا آخرُهُمْ فَقَيَّدَهُ «مَهْران» بِنَفْسِهِ ثُمَّ قالَ لَهُ ساخِراً: «هَيّا إِلْحَقْ بِرِفاقِكَ المُتَوَحِّشينَ أَيُّها القُرْصانُ

فِي قاعِ البَحْرِ حَيْثُ تَأْكُلُكُم الأَسْماكُ.. أَصَدَّقْتُم أَيُّها الأَغْبِياءُ أَن هُناكَ مَلِكَةً لِلبَحْرِ مَمْلَكتُها مِنَ الذَّهَبِ والماسِ والياقُوتِ.. إنّ طَمَعَكُمْ وتَوحُّشَكُم أودَى بِكُمْ وقَضَى عَلَيْكُم».

فَزِعَ القُرْصانُ بِشِدَّةٍ، ولَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ المُقاوَمةَ بِسَبَبِ قُيُودِهِ، وأَلْقاهُ «مَهْران» فِي البَحْرِ، وفَرِغَتِ السَّفينَةُ مِن القَراصِنَة. وفِي الحَالِ هَبَطَتِ البَبْغاءُ «كِيكي» وحَطَّتْ عَلَى كَتفِ «مَهْران» سَعِيدَةً بَعْدَ أَنْ خَدَعَتِ القَراصِنَةَ وقَلَّدَتْ صَوْتَ زَعيمِهِم القُرْصانِ «سَعْدان» وطَلَبَتْ مِنْهُمْ إلْقاءَ أَنْفُسِهِمْ فِي اليَمِّ لِلحاقِ بِهِ.

وقادَ «مَهْران» سَفينَةَ القَراصِنَةِ عائِداً إِلَى شاطِئِ القَرْيَةِ، فَوَجَدَ فِي آسْتِقْبالِهِ بَقِيَّةَ رِفاقِهِ مِنَ الحَيَواناتِ، وكُلَّ سُكّانِ القَرْيَةِ الطَّيِّبِينَ، الَّذِينَ عَلِمُوا بِما حَدَثَ. فأَحاطُوا «بِمَهْران» ورِفاقِهِ، وراحُوا يُقَبِّلُونَهمْ ويَشْكُرونَهُمْ باكِينَ لِما أَسْدُوهُ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ بِتَخْليصِهِمْ مِنَ القَراصِنَةِ وإِلْقائِهِمْ فِي البَحْرِ، وطَلَبُوا مِنْ «مَهْران» أَنْ يَبْقَى مَعَهُمْ ويَعيشَ وسَطَهُمْ، حَتَّى يَرُدُّوا إِلَيْهِ جُزْءاً مِنْ دَيْنِهِ بَعْدَ أَنْ أَعادَ إِلَيْهِمْ أَرْضَهُمْ وَمُزْرُوعاتِهِم ومَواشِيَهُمْ وأَمْوالَهُمْ. ولَكِنَّهُ شَكَرَ لَهُمْ وَفاءَهُمْ مُعْتَذِراً، فَهُوَ ورِفاقُهُ

الحَيَـواناتُ البَهْلَوانـاتُ والبَبْغاءُ «كِيكي» لا يُحِبُّـونَ البِقاءَ طَـوِيلاً فِي مَكانٍ واحدٍ.

وأعْطى «مَهْران» سُكّانَ القَرْيَةِ أَسْلِحَةَ القُرْصانِ لَيَحْفَـظوها عِنْدَهُمْ، فَيُدافِعُون بِها عَنْ أَنْفُسِهِمْ إذا حَـاوَلَ الأَشْرارُ والأَعْـداءُ غَزْوَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى.

وَكـانَتْ لَحْظةُ الـوداعِ مُؤَثّرةً، فَقَـدِ آصْـطَفَّ كُـلُّ سُكّـانِ القَـرْيَةِ عَلَى الشَّـاطِئِ لِوَداعِ «مَهْـران» البَهْلَوانِ ورِفاقِـهِ، الَّذِينَ آسْتَقَلُّوا سَفينَةَ القَراصِنَةِ، بَعْدَ أنْ أنْزَلُوا رَايَتَها المَشْؤُومَةَ المَرْسُومُ عَلَيْها الجُمْجُمَةُ والعَظْمَتانِ المُتَقاطِعَتانِ مِنْ فَوْقِ سارِيَتِها.

وأَبْحَرَتْ سَفينَةُ القَـراصِنَةِ، الَّتِي أَصْبَحَتْ مُلْـكاً «لِمَهْران» البَهْلَوانِ ورِفاقِهِ. وشَرَعَ القِرْدُ «سِيسي» والدُّبّةُ «فِيفي» فِي قِيادَتِها بِمَهـارَةٍ بَيْنَ المَـوْجِ لِعُبُـورِ البَحْـرِ إِلَى النّـاحِيَـةِ الأُخْـرَى، وفِي الـوَقْتِ نَفْسِهِ راحَ سُكّـانُ قَرْيَـةِ الـطَّيِّبِينَ يُلَوِّحُـونَ لَهُمْ بِـأَيْـدِيهِمْ مُـوَدِّعِينَ، وقَدْ عـادَ إِلَى قَرْيَتِهِمْ مَـرَّةً أُخْرى، سُكُـونُها وهَـدُوءُها ودِعَتُهـا، بِفَضْـلِ البَهْلَوانِ «مَهْـران» ورِفـاقِـهِ مِنَ الحَيَـوانـاتِ والطُّيُور.

وتَعلَّمَ سُكّانُ القَرْيَةِ أنْ يَكُونُوا حَذِرينَ مَع الغُرَباءِ، وأنْ يَمْتَلِكُوا مِنَ السِّلاحِ والعَتادِ ما يُمَكِّنَهُمْ مِن مُقاوَمةِ مَنْ يُحاوِلُ أنْ يَسْلُبَهُمْ أرْضَهُمْ وخَيْراتِهِمْ فِي المُسْتَقْبلِ، لأنّ الطِيبَةَ لاَ تُفيدُ مَع الأَشْرارِ والأَعْداء.

* * *

القرصان والبهلوان

أسئلـــة:

١ ـ مَنْ هم القراصنة؟ وما هو عملهم؟

٢ ـ كيف استقبل الأهالي الزوار؟ وما كانت نيّة القراصنة؟

٣ ـ إلامَ تحولت حياة الأهالي؟ اذكر أهم صفاتهم.

٤ ـ كيف وصل مهران ورفاقه إلى المنطقة وكيف استقبله القراصنة؟

٥ ـ عند تعليق مهران على الشجرة، كيف خلّصه رفاقه؟

٦ ـ كيف ساعد مهران الأهالي بالتخلص من القراصنة؟ وما هو الدرس الذي أعطاهم إيّاه؟

اشـــرح الكلمات التالية:

تراودهم ـ يحدق ـ يُحاك ـ مُغْتَصِب ـ سياط.

إعـــراب:

ـ تسوقُهُم سِياطُ القراصنةِ.

ـ أَسْرِعوا لمقاتلةِ الأعداءِ أيُّهَا الرفاقُ.

٣

القُرصَان وَالبهلوان

● قَـريةٌ صغيـرةٌ واقِعةٌ خَلف بحـرٍ عـظيمٍ ، لا يَـدري أهلُها عن الـدُّنيا شيئـاً. وذات يَوم يـأتي البحرُ بقراصنةٍ أشرار، يُسيطرون على القريَةِ ويستولون على كلِّ ما فيها لأنفسهم..

ثمّ يـأتي من البحرِ بَهْلوانٌ ضعيفُ القُـوَّةِ ولكنـه واسـعُ الحيلةِ، فيتمكن بدهـائِـهِ وذكـائِـهِ من تخليصِ القريةِ من القراصنةِ الـظالمين.. وعلَّم أهلَها درسـاً لا ينسـوه، حتى لا يستوليَ الأشـرارُ على خيـراتِهم مـرةً ثانيةً.